

# النشاط الثقافي في العالم عايدة طرزي دريس اعداد:

## فرنسا

### رواية «الصور الجميلة» والنقد

\*\*\*

ما تزال رواية سيمون دو بوفوار «الصور الجميلة» تثير اهتمام الأدباء والنقاد في فرنسا . وقد نشرت مجلة «لا كينزين» في عددها الصادر في ٣١ ديسمبر دراسة طويلة بقلم مادلين شاسبال وصفت فيه رواية «الصور الجميلة» بأنه كتاب تقرأه في ساعتين بنقاد صبر لاكتشاف : كم بقي بعد من الضحايا ومن هو المذنب ؟ اما المذنب ، فهو المجتمع ، لا مجتمع الرأسمالية ولكن مجتمع الاستهلاك . واما الضحايا فهم الرجال والنساء الذين يحاولون ان يعيشوا فيه عيشة حسنة ، ما دام يطلب منهم ذلك والذين يروحون ويفنون في ترفهم كأنهم اموات - احياء : إن الذكاء ما يزال يعيش ، ولكن الشعور هو الذي مات ، او هو لم يمض تماما ، لان الناس ليسوا مرتاحين ، مما داموا بحاجه الى مسكنات ومهدئات ، وقد يحدث لهم أيضا أن يتألوا ، ولكن ليست هي الصرخات الانسانية التي نسمعها ، وانما هي صرير شبيه بالصرير الذي تبغته السراطين التي تتحرك في السلسلة ...

«انها ميكانيكية بسيطة ، تلك التي تحرك «هذه الصور الجميلة» التي تنتزه في الاحياء الجميلة ، وعلى صفحات المجلات الملونة ، وفي سيارات «الفراري» ، وبين المراكز الثانوية ومكاتب مؤسسات الدعاية او الصحافة حيث يدفع كل منهم الاخر لان يستهلك مثله . اكثر فاكثر ولاجل ذلك ان يربح اكثر فاكثر بغية ان يلتهم كل شيء ، بما في ذلك قلبه . ان ما يثير في الكتاب هو الحركة ، حركة الكاتبة نفسها . شخصية حية ، مطلبة ، تزيد ان تعلم ، وان تتقدم ، وتفكر بان المرء يستطيع ان يفهم وان يجد للام هذا العالم شرحا ، شرحا واحدا ، فلا يعود هناك مجال الا ان يفعل . وهنا تظهر سيمون دو بوفوار بوجه اخر ، متراجعة عما قالته ، او احسنت به ، فتقول او تدع لورانس تقول : «لقد كنت خائبة» . لتعبر عن أنها قد خدمت ، وانها خدمت نفسها وانسه لم يكن ليوجد قط شرح واحد للحياة . انها تعترف بذلك بصوت اشد خفوتا ، واشد حزنا ، عند موت امها مثلا . ونلمح خلال هذا الجهد المستمر ، المتكرر ، وفي هذه المجازفة التي تبناها في كل كتاب جديد حرص الكاتبة على أن تكتشف ، وراء الصور الجميلة والكاذبة ، صورة اخرى ، ربما كانت اقل جمالا ، ولكنها صورة اخرى اصدق : ان سيمون دو بوفوار مؤثرة وهي تؤثر بنا حقا .

وكتب روبير كانترس في «الفيغارو ليتيرير» يقول : «ان الادب النسائي في عصرنا قد حمل على عاتقه المطالبة بمنح المرأة الحق في ان تكون رجلا . واليوم بدأت تسترد حقها في أن تكون امرأة . ففي السنوات السابقة كانت تطالب بالمساواة سواء في الكتب او في الحياة ، والحق في ان تمارس جميع المهن وان تعالج جميع المواضيع . واذ أصبحت هذه الحقوق مكتسبة ضمن الحدود الممكنة ، فان القضية أصبحت تفترض ان المرأة حين تتكلم عن كل شيء كالرجل ، فانها تتحدث مع ذلك بحساسية ولهجة خاصة بها . فهناك كتب قد نجحت هذه السنة وهي ذات طابع نسائي . وفي «الصور الجميلة» لسيمون دو بوفوار صورة لتلك المرأة المطالبة بحقوقها ، يضاف اليها الذكاء والثقافة التي تتمتع بهما ( - ماما ، لماذا نحن موجودون ؟ والاشخاص الاشقياء ، لماذا هم موجودون ؟ ) هذا

هو السؤال الذي توجهه كاترين الصغيرة ، التي ربما كانت اكثر الشخصيات اهمية . مركز النقل في «الصور الجميلة» انها «وجودية في العاشرة من عمرها» وحول الفتاة الصغيرة الفلقة لتعاسة العالم ، تتكون الرواية من تارجحات السعادة لدى جماعة من البالغين لا يعرفون اكثر من كاترين ولكنهم فقدوا عفوية الاعتراف بذلك .

هؤلاء البالغون ينتمون الى عالم صغير مذهب ، رجال كبار ، معلنون كبار ، صحافيون مترفون او يعيشون في الترف ، وبكلمة واحدة ، عالم فرانسواز ساغان الذي لا يمكننا الا نفكر به ، اننا نرى في «الصور الجميلة» دومينيك الذكية الناجحة الباريسية جدا ، ولكن المنحدرة الى الشيخوخة ، يتركها جيلبير الفني الذي يريد ان يتزوج فتاة شابة هي في الحقيقة ابنة احدي عشيقاته السابقات ! اما لوسيل ، ابنة دومينيك ، فهي سعيدة مع زوجها جان - شارل ، ولكنها مع ذلك تتخذ لوسيان عشيقا . وهي تفتناظ للامبالاة التي يهجر بها جيلبير امها، ولكنها لا تدرك لحظة واحدة انها تكبد لوسيان الالم نفسه حين تتركه بدورها . وتتساءل الطفلة كاترين : «لماذا نحن موجودون ؟»

وببدو ان سيمون دو بوفوار تجيب على ذلك بان مصيبة هذا العالم كلها تكن في العيش في عالم من المرايا والصور . انه عالم الصور الدعائية الملونة عن الشقق ، والرحلات المشتركة ، والسيارات ، والعمود والسجاير والاقمشة الجميلة ... وقد تعمم هذا العالم بفضل الاعلان والدعاية على انه صورة لكل ما هو بذخ وترف وشهوة ونظام وجمال . . . ولكن ربما كان مقال فرانسيس جانسون الذي نشرته مجلة «لوفويل اوبسرفاتور» ( تاريخ ١٤ ديسمبر الماضي ) بعنوان «سجن الترف» هو اهم ما كتب عن «الصور الجميلة» . والمعروف ان جانسون قد اصدر اخيرا كتابا هاما بعنوان «سيمون دو بوفوار او مشروع الحياة» (١) ، فهو اجدر من يتحدث عن هذه الكاتبة العالمية المرموقة . فبعد ان تحدث جانسون عن انتاج دو بوفوار الاول في الرواية ، وعن فترة «السيرة» في انتاجها - وهي التي اصدرت فيها «مذكرات فتاة عاقلة» و «انا ومارتر والحياة» و «قوة الاشياء» - قال ان صدور هذه الرواية قد فاجأه :

« منذ اقل من عام ، كانت سيمون تقول لي : اذا كتبت رواية اخرى فستكون مختلفة عن «الثقون» . وستطرح علي مشكلات تقنية جديدة ( طريقة السرد ، المسافة بالنسبة الى الشخصيات ) ثم ان الإبطل سيكونون في وضع مختلف عن وضعي» . وكانت قد عبرت في مكان اخر عن رغبتها العميقة في أن تتكلم عن شيء اخر غير ذاتها . ولكن ما ادهشني هو البساطة المتناهية التي ستضع بها المؤلفة كلية تجربتها لتصور لنا مواقف اخرى مختلفة حقا عن مواقفها الشخصية .

والواقع انه ليس في هذه الرواية الا ما هو مالوف لدينا . فالعالم الموصوف ، عالم جان - شارل ، زوج لورانس البطلة ، انما نسبح فيه كل يوم : هو عالم التكنيكيين الذين تحولوا الى تكنوقراطيين ، عالم «الملكات» عالم النزعة الانسانية الساذجة التي تلجأ الى التقدم العلمي في رغبتها بخلق الانسان . وايضا عالم عدم التبادل بين الرجال والنساء . وهو اخيرا العالم الذي تسود فيه «الصورة» والذي ليس فيه كل منا الا مظهر نفسه الذي يعرضه على الاخرين والذي تنزلق فيه اقصى الوقائع علينا من غير ان نتمسنا وتصبح بدورها صورا بسيطة على شاشة تلفزيونانا . ولكن ما يدهشني في هذه الرواية التي ليس لها من نقيصة

(١) ستصدر ترجمته العربية قريبا عن دار الاداب ببيروت .

ربما ستستفين ، ولكنك ستصبحين قبيحة ، وسيسقط شعرك وسوف تنصخمين ...

ولكن بيابولي لا تتردد . وقد شفيت وسقط شعرها وتضخمت ، ثم طلب زوجها الطلاق ... ولكنها لم تتخل عن الصراع فاندفعت تناضل لاستعادة جمالها المفقود . وبعد عشر سنوات ، عادت ، كما كانت امرأة جميلة . وهي تقدم هذه الحياة المثيرة في سيرة ذاتية بعنوان : « اريد ان احيا » . وقد صدر الكتاب حديثا في روما .

## المطالعة في ايطاليا

اظهر التحقيق الذي اجري في ايطاليا ان عدد الذين لا يقرأون شيئا ابدا من الايطاليين البالغين هو ٢٨ بالمائة ، وهم لا يقرأون لا كتابا ولا مجلات ولا جرائد !

وقد اجري التحقيق على ٢٠٠٠ شخص يتجاوز عمرهم الثامنة عشرة من مناطق مختلفة ومحيطات متباينة فبلغ عدد الذين يقرأون الجرائد فقط ٢٨٤٣ بالمائة ، والاغلبية العظمى هي من الرجال ومن المدن الكبرى التي يتجاوز عدد سكانها ٤٠٠٠٠ نسمة .

اما بالنسبة للمجلات الاسبوعية والشهرية فان المعدل يرتفع الى ٥٢ بالمائة والنفاوت في عادة القراءة بين الجنسين يخف بسبب انتشار الصحافة النسائية بنوع خاص .

ولكن ٧٨ بالمائة من الاشخاص المستجوبين لم يقرأوا اي كتاب ، لا تربيوي ولا وثائقي - خلال الاسبوع الذي اجري فيه التحقيق . واعلى نسبة للقراء توجد بين الجماعات التي تتراوح اعمارها بين الثامنة عشرة والرابعة والثلاثين . ولكن لا شيء يدل على ان هذا الفراغ قد ملئ بالاذاعة او التلفزيون . فان ٢٥ بالمائة من الايطاليين الشباب لا يستمعون قط الى الراديو و ٥ بالمائة فقط صرحوا بانهم يشغلون الراديو او التلفزيون يوميا .

## الفتاة على الرصيف

عشرة كتاب من نزعات مختلفة شاركوا في اللعبة التي اقترحها عليهم مارك سابورتا : « تخيلوا الفتاة على الرصيف المقابل » .

ابتدأ روبري اسكربت ، الذي يدعي فقدان الخيلة لديه ، بان عهد للالة I. B. M. في تصوير الفتاة . وفضل دانييل بولنجيه ان ينظر الى امرأة على الرصيف مرسومة بالبطشور . على ان جميع الباقين قد رأوا الفتاة ، فتاتهم ، حقيقية او على شكل ذكرى . فسبابتيه مثلا تخيلها على انه هو قاطع طريق ، وروجيه بورديه على انه هو اعمى . وهناك ثلاثة منهم تزوجوها في حين ان نوك ايستان مثلا قد خدع باحدى « فتيات الغلاف » . واثان منهم اماناها واثان اخران مانا هما نفسهما . وهنا يبدو ان الشبه بين قصتي هنري فرنسو راوي وروبير ساباتييه كبير جدا .. فكلناهما تحدثان في الخارج وفي الازقة المنحطة .

واخيرا كتب سابورتا نفسه اقصوصة لامعة . انه الوحيد الذي لم يجتز الطريق ليلقى الفتاة ، وذلك بسبب السير ، فهناك سيارات حتى في هوامش قصته ومتفرجون في الوسط ومنافسون مبثوثون بين كلماته ، بينما هو يشتهي بنهم ، وهو يمشي على « الورقة - الرصيف » المرأة التي لحها على الصفحة المقابلة .

انها محاولة للادب التجريبي ، محاولة مثيرة وتكاد تكون ناجحة .

سوى انها يمكن ان تكون في تناول الجميع ، انما هي الطريقة التي نجحت فيها المؤلفة في ان تعقد جميع هذه الموضوعات فيما بينها بابرارها لخدمة موضوعات حساسة ، مطروحة في مواقف .. شخصية تماما ، ولكن هذا لا يمنعها من ان تعكس حقيقة ذات بعد اجتماعي .

يستطرد جونس الى القول :

« ذلك ان النقد الاجتماعي هنا لا يعمد المناساة قط : فجميع الشخصيات الرئيسية تظهر فيها تعقدا حقيقيا وافضل مثال على ذلك لورانس نفسها ، اي الشخصية التي هي اشد وعيا من سواها لوضعها « الصوري » ، والتي هي سجيئة عالم الصور . فالعلاقات التي تقيمها مع ابيها ومع امها ومع زوجها ومع عشيقها واكثر من ذلك مع ابنتها هي علاقات حقيقية بالرغم من انه بإمكاننا كذلك ان نصفها بانها علاقات مزورة من قبل الجميع . ان المعركة المشكوك فيها التي تخوضها لورانس هي نتاج نفل لصورة ابوية استتبنتها وتكثيف خارجي مدينة به لامها ولوسطهما . هذه المعركة التي تخوضها لورانس ضد السام وضد فقدان الحنان وضد « برودة القلب » ، لا تملك ان تنهيا لحسابها الخاص بفتح حياة حقيقية : ذلك انها لم يعط لها ان تقارن الا قيما بورجوازية فيما بينها ( البحث العدواني عن الامان من جهة امها ، وانكرامة الساحرة والمخيبة لابنها المثالي ) ولكن ارادتها الطيبة ستتنصر على نحو ما ، وسيظل هذا الوعي حيا بما فيه الكفاية لينفصل عن تكييفه المزدوج . ولا تبالغ لورانس ان تتقلب على استلابها الخاص ، ولكنها ستنتج على الاقل في الحفاظ على اتحيقة الحرة لابنتها ضد « الصورة الجميلة » التي يجد الآخرون . باستثنائها هي ، من الطبيعي ان يحيلوها اليها .

ويواصل فرانسيس جونسون مقاله العميق :

« ليس هذا درسا ، وليس قصة بناءة . وانما هو الصراع ونصف الاخفاق الذي تواجهه امرأة بين نساء كثيرات ، امرأة لا تعتبر نفسها قادرة على ان تدين احدا ، وهي تشك بعواطفها ذاتها . وقد فقدت الحنان وهي تعلم في ان تسترده الى الابد ، وهي لا تبلغ بعد ان تعيش جنل الملابس ، وحنون الشهوة ( « تلك النار في عروقها وهذا الدوار » ) : امرأة يتضح لها يوما بعد يوم ان العالم كان « في كل مكان اخر » وانه لا سبيل الى دخوله . امرأة سيق ان « صنعت » امرأة تصطم عيشا بظلمات عدم المعرفة ونقص العلم وبهذه التفاهة التي تلحق بنا جميعا ولكن يبدو انها قد أصبحت بالنسبة اليها غير قابلة للاحتمال بمقدار ما هي امرأة وربما ايضا بمقدار ما هي ام .

ان سيمون دو بوفوار ليست اما ، واتساءل مع ذلك هل هناك من عرف ان يصور بمثل هذا التصوير الدقيق وبمثل هذا الانفعال الحقيقي الفلق الذي يمكن لامرأة ان تعانيه حين يبدو لها ان العالم ، كما صنعناه ، يوشك ان يقود ابنتها الى المصير الذي « سبق » ان كان مصيرها هي . ان لورانس تقول : « لقد تمت اللعبة بالنسبة لي » ونحن نشعر جيدا بانها لن تتم بالنسبة لسيمون دو بوفوار ما دامت تستطيع ان تصيف : « ولكن سيكون للفتلتين حظهما » .

وينهي فرانسيس جونسون مقاله الهام بقوله :

« لقد ذكرت آفا ان القضية بالنسبة اليها ليست ، على هذا المستوى ، ان تقوم بعمل بناء . ولا شك في ان آخر عبارة في الكتاب تكفي للتدليل على ذلك : « اي حظ ، انها لا تعرف هذا ايضا » .

## ايطاليا

« اريد ان احيا »

« بيابولي » امرأة جميلة أصيبت بالسرطان في الغدة الصماء ، ففضى عليها الأطباء بعدم الشفاء . ولكن المرأة لم تياس ، واستشارت اخصائيين ، وذهبت الى لندن وقبلت ان تجرب علاجا جديدا . وحذروها :